مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(فيليبي ٤: ٤-٩)

يا إخوةُ افرحوا في الربِّ كُلَّ حينٍ وأقولُ أيضاً افرحوا* وليظهَرْ حِلمُكُم لجميع الناس. فإنَّ الربَّ قريبٌ* لا تهتمُّوا البتَّةَ بل في كلِّ شيءٍ فلتكن طلباتُكم معلومةً لدى الله بالصلاةِ والتضرُّعِ مع الشكر* وليحفظْ سلامُ الله الذي يفوقُ كلَّ عقلٍ قلوبَكم وبصائرَكم في يسوعَ المسيح* وبعدُ أيُّها الإخوةُ مهما يكُنْ من حقٍّ ومهما يكن من عفافٍ ومهما يكن من عدلٍ ومهما يكن من طهارةٍ ومهما يكن من صِفةٍ مُحبَّبةٍ ومهما يكن من حُسنِ صيتٍ إن تكن فضيلةٌ وإن يكن مَدحٌ ففي هذه افتكروا* وما تعلَّمتموهُ وتسلَّمتُموه وسمعتموه ورأيتموه فيَّ فبهذا اعمَلوا. وإلهُ السلامِ يكونُ معكم.

الإنجيل

أحد الشعانين

مع اقتراب نهاية مسيرتنا خلال فترة الصوم الكبير، التي كانت الكنيسة تؤكد لنا خلالها أن الصوم ليس مجرّد انقطاع عن تناول الطعام بل هو أن نعمل الصلاح ونساعد الفقراء والمحتاجين، عاملين بوصية الرب أن نحبه ونحب قريبنا كنفسنا، وتابعين قوله انه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله. إذاً مع اقتراب نهاية هذه المسيرة الصيامية تضعنا الكنيسة عند مفترق طرق: إمّا أن نتابع المسيرة وندخل مع الرب يسوع إلى المدينة المقدسة أورشليم لنتألّم معه معترفين انه هو ملِكنا وربنا ومخلّصنا الذي أتى إلى العالم ليموت من أجل الخطأة، وإما أن نتركه وحده ولا نشترك في الغلبة على الموت التي سيحققها بموته على الصليب وقيامته.

في كل مرّة تذكّرنا الكنيسة بحدثٍ خلاصي معيَّن كميلاد الرب يسوع أو تجلّيه أو دخوله إلى أورشليم الذي يُسمَّى «أحد الشعانين» الذي نشترك فيه اليوم، تدعونا إلى الدخول في الحَدَث الخلاصي، فلا يبقى مجرد قصة أو رواية تاريخية قد تؤثر في مشاعرنا. هذا ما يُسمى في حياتنا الليتورجية «الذكرى». فالكنيسة تضع أمامنا الحَدَث الخلاصي من خلال تلاوته علينا. فإن قبلناه ندخل فيه متّخذين موقفاً منه ومكاناً فيه، لهذا نصرخ مثلاً «اقبلني **اليوم**»، أو «**اليوم** علق على خشبة»، أو «**اليوم** نعمة الروح القدس جمعتنا، وكلّنا نرفع صليبك ونقول: مباركٌ الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي» (غروب أحد الشعانين). هذا يعني اننا ندخل في الحَدَث نفسه وليس في حدَث آخر، فإن الخلاص الذي حققه الرب يسوع حققّه مرّة واحدة في التاريخ ونحن نشترك فيه بالذات عند قبولنا إياه.

العدد ٢٠٠٧/١٣

الأحد ١ نيسان

أحد الشعانين

تذكار أمنا البارة مريم المصرية

ضمن هذا الإطار تنقلنا الكنيسة إلى مدخل مدينة أورشليم حيث الجموع تحتشد لاستقبال الرب يسوع داخلاً إلى المدينة، راكباً على جحش، على أنه ابن داود ملك إسرائيل الآتي باسم الرب ليخلّص شعبه.

من الأمور التي تُشدِّد عليها الكنيسة في هذا الحَدَث الخلاصي تواضع الرب يسوع وما نقدّمه له بالمقابل. فالرب يسوع، ابن الله، يرتضي أن يدخل إلى

(يوحنا ١٢:١-١٨)

قبل الفصح بستة أيام أتى يسوعُ إلى بيتَ عنيا حيث كان لعازرُ الذي ماتَ فأقامهُ يسوعُ من بين الأموات* فصنعوا له هناك عشاءً وكانت مرتا تخدِمُ وكان لعازرُ أحَدَ المتَّكئين معه*أمَّا مريمُ فأخذت رطلَ طيبٍ من ناردين خالص كثيرِ الثمن ودهنتْ قدمَيْ يسوع ومَسَحَتْ قدميهِ بشعرها* فامتلأ البيتُ من رائحةِ الطيبِ* فقال أحدُ تلاميذِهِ يهوذا بنُ سمعان الإسخريوطي الذي كان مزمعاً أن يُسلِمهُ لِمَ لم يُبَعْ هذا الطيبُ بثلاثِ مئةِ دينارٍ ويُعطَ للمساكين*وإنَّما قال هذا لا اهتماماً منه بالمساكين بل لأنَّه كان سارقاً وكان الصندوقُ عنده وكان يحمِلُ ما يُلقى فيهِ* فقال يسوعُ دَعْها إنَّما حَفِظَتْهُ ليومِ دفني* فإنَّ المساكينَ هم عندكم في كلّ حين وأمَّا أنا فلستُ عندكم في كلّ حين* وعلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنَّ يسوعَ هناك فجاءوا لا من أجلِ يسوع فقط بل لينظروا أيضاً لَعازر الذي أقامه من بين الأموات* فأُتَمَرَ رؤساءُ الكهنة أن يقتلوا لَعازرَ أيضاً* لأنَّ كثيرين من اليهود كانوا بسببهِ يذهبون فيؤمنون بيسوع* وفي الغد أورشليم دخول المنتصرين وهو راكب على جحش عوض المركبة الحربية، قالباً بذلك المفاهيم البشريَّة القائمة على العظمة والمجد، مشدّداً على طريق التواضع سبيلاً للغلبة على الشر والموت. فإن من رفعَ نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع. كما أنه قَبِلَ هتاف الأطفال ذوي القلوب الطاهرة غير الملوثة بالخطيئة، لأن هتافاتهم صادقة وتنبع من القلب.

بهذه الطريقة نحن مدعوّون لمتابعة ما بدأناه في بداية الصوم، غير ناظرين إلى أنفسنا وإلى ما حقّقناه في جهادنا، بل ناظرين إلى الرب يسوع الذي ارتضى أن يتواضع من أجلنا، فندخل معه إلى أورشليم لنُصلَب معه حتى نستأهل أن نقوم معه.

أما ما نقدّمه نحن له بالمقابل فقلوباً طاهرة كقلوب الأطفال تسبّحه على الدوام، وأغصانَ الفضائل، ونفرش له أثواب الأعمال الإلهية: «لنصفق بالأيادي باتفاق أيها المؤمنون مقدّمين الآن للمسيح أغصان الفضائل ونحن أيضاً كالأطفال، ولنفرش له أثواب الأعمال الإلهية ونتقبّله سرّياً» (من غروب الشعانين).

«يا ابن الله الكلّي القداسة، احصنا مع الذين يسبّحونك، واقبل طلبات المتضرّعين إليك كما قبلت هتاف الأطفال. ارحمنا نحن خليقتك والذين أحببتنا بسكناك بيننا. وهب السلام لكنائسك، وامنحني حلّ خطاياي. واعطني أن أقول ما تريد وكما تريد، ولا يُثقل الحزن عقلي. واعطني أن أعمل أعمالاً صالحة فأهتف إليك: مبارك أنت الآتي لتعيد دعوة آدم» (البيت ١٦ من قانون الشعانين للقديس رومانوس المرنم).

سر الصليب

«ان هذا اليوم الحاضر يشرق للعالم الآلام الموقرة كأنوار مخلّصة. لأن المسيح يوافي ليتألم لأجل صلاحه. والضابط الكل في قبضته يرتضي أن يعلّق على خشبة ليخلّص الإنسان» (من صلاة الختن الأولى).

هذه الترنيمة هي من أولى الصلوات التي نتلوها في بداية الأسبوع العظيم المقدّس معلنين ان المسيح «يرتضي أن يُعلّق على خشبة ليخلّص الإنسان». وهذه العبارة مع عباراتٍ كثيرة ترد في صلواتنا مِثل «لأنك بالصليب قد أبطلت الموت» و«وطئ الموت بالموت» و«يا رب ان صليبك لهوَ حياة وقيامة لشعبك وعليه اتكالنا» إلخ...، كلها توحي بأن الخلاص للبشر حصل بموت الرب على الصليب، وانه عندما مات الرب بالجسد على الصليب تحقق الإنتصار على الشرير وتمزق صك العبودية للشرير والمكتوب على البشر: «يا من في اليوم السادس، وفي الساعة السادسة سمِّرت على الصليب الخطيئةَ التي تجرأ عليها آدم في الفردوس، مزِّق صكَّ هفواتنا، أيها المسيح إلهنا وخلّصنا» (من صلوات الساعة السادسة).

ماذا حصل على الصليب؟ كلُّنا سوف نرافق الرب في مسيرته نحو الصليب هذا الأسبوع وذلك من خلال مشاركتنا في الخِدَم الإلهية المقدسة. لذا علينا أن ننتبه جيداً إلى إحدى القراءات الإنجيلية (الإنجيل السابع) التي نقرأها يوم الخميس العظيم في خدمة أناجيل الآلام. لنقرأ جيداً النص كي نفهم كيف حصل الخلاص بموت الرب على الصليب. يقول الإنجيلي متى انه من الساعة السادسة (١٢ ظهراً) كانت ظلمة على الأرض إلى الساعة التاسعة (٣ بعد الظهر)، بعدها صرخ يسوع إلهي

لمَّا سمع الجمعُ الكثيرُ الذين جاؤوا إلى العيد بأنَّ يسوعَ آتٍ إلى أورشليم أخذوا سَعَفَ النخل وخرجوا للقائهِ وهم يصرخون قائلين: هوشعنا مباركٌ الآتي باسم الربِّ، ملكُ إسرائيل* وإنَّ يسوعَ وجد جحشاً فركِبهُ كما هو مكتوبٌ* لا تخافي يا ابنةَ صهيون. ها إنَّ مَلِكَكِ يأتيكِ راكباً على جحشِ ابنِ أتانٍ* وهذه الأشياءُ لم يفهمها تلاميذُهُ أوّلاً ولكن لمَّا مُجّد يسوعُ حينئذٍ تذكَّروا أنَّ هذه إنَّما كُتبتْ عنهُ وأنَّهم عمِلوها له* وكان الجمعُ الذين كانوا معه حين نادى لَعازر من القبرِ وأقامهُ من بين الأموات يشهدون لهُ* ومن أجل هذا استقبلهُ الجمعُ لأنَّهم سمعوا بأنَّهُ قد صنعَ هذه الآية.

تأمل

لنصرخ مع الجميع إلى المسيح أوصَنَّا (هوشعنا) الذي معناه خلّصنا أيها الإله السماوي. يا للأمور الجديدة! يا للعجائب غير المتوقعة! البارحة أقام المسيح لعازر من بين الأموات، واليوم يسير هو بنفسه إلى الموت. البارحة، مَنْ هو الحياة وهب الحياة لغيره، واليوم معطي الحياة يأتي إلى الموت. البارحة حلّ لفائف لعازر، واليوم

إلهي لماذا تركتني. فأسرع واحد من الجند مريداً أن يسقيه خلاً، ثم صرخ يسوع ثانية «بصوتٍ عظيم وأسلمَ الروحَ. وإذا حِجابُ الهيكلِ قدِ انشقَّ إلى إثنينِ من فوق إلى أسفل. والأرضُ تزلزلت والصخورُ تشقَّقت والقبورُ تفتحت **وقامَ كثيرٌ من أجسادِ** القدِّيسينَ الراقدينَ وخرجوا من القبورِ بعد قيامتِهِ ودخلوا المدينةَ المُقدَّسةَ وظهروا لكثيرينَ» (متى ٢٧: ٥٠-٥٣). إذاً، لحظة موت يسوع على الصليب تفتحت القبور وقام كثير من أجساد القديسين، وظهروا لكثيرين من بعد قيامة يسوع من بين الأموات. البرهان على ان الخلاص حصل بالصليب كان قيامة أجساد كثيرة في نفس لحظة موت يسوع. إذاً في هذه اللحظة، «لحظة موت يسوع»، يكمن تحقيق خلاص البشرية، وليس من برهان أفضل على حصول الإنتصار على الشرير سوى قيامة الموتى.

عندما خلق الله آدم قال له: «وأمَّا شجرةُ معرفةِ الخيرِ والشرِ فلا تأكُلْ منها. لأنَّكَ يومَ تأكُلُ منها موتاً تموتُ» (تك ٢:١٧). إذاً نتيجة مخالفة الوصية كان الموت. لم يطع آدم وحواء الوصية ودخلا تحت سلطة الشرير، وكان الموت هو العلامة القصوى لسيطرة الشرير على الكون، لذا فإن علامة الغلبة على الشرير هي إبطال الموت على ما يقول الرسول بولس «آخر عدُوٍ يُبطَلُ هو الموتُ» (١ كور ١٥:٢٦). والبرهان على ان الرب يسوع بموته أبطل الموت، آخر عدو، كان قيامة أجساد الكثير من الراقدين، فتحرَّروا من سلطة الشرير. لذا عندما مات الرب على الصليب «ابتُلِعَ الموتُ إلى غلبةٍ. أين شوكَتُكَ يا موتُ. أين غلبَتُكِ يا هاويةُ... ولكن شكراً للهِ الذي يُعطينا الغلبةَ بربِّنا يسوعَ المسيحِ» (١كور ١٥: ٥٤-٥٦). عندما مات يسوع على الصليب أعاد لنا الحياة التي فقدناها يوم خطئ الجدّان الأولان.

نقطة أخرى مهمة في نص الإنجيلي متى هي ان «أجساد القديسين الراقدين» (٢٧:٥٣) قامت من بين الأموات. إذاً الأموات قاموا بالجسد، لأن الرب يخلّص الإنسان بكليته جسداً ونفساً وروحاً. لكي يعلّم تلاميذه والمؤمنين ان القيامة في اليوم الأخير سوف تكون بالجسد، أعطاهم وهو على الصليب أن يتذوقوا مسبقاً كيف ستكون القيامة في اليوم الأخير. الرسول بولس يوضح ان جسم الإنسان يوم القيامة سوف «يُقام جسماً روحانياً» (١كور١٥: ٤٤)، أي جسماً غير خاضع لفساد الخطيئة، جسماً نال نِعَم سر الصليب.

ما يلفت النظر أيضاً في النص الإنجيلي أعلاه الذي يتحدَّث عن قيامة الموتى لحظة يسوع «أسلم الروح»، ان هؤلاء القائمين من الموت«خرجوا من القبور **بعد قيامته** ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين». وكأننا بالإنجيلي متى يوضح لنا ان لحظة موت الرب على الصليب هي بداية تحقيق الخلاص وقيامة الرب هي كمال هذا الخلاص. لم يكن لائقاً أن يخرج الموتى بمفردهم ويظهروا للناس دون الرب. نعم لقد قاموا ولكنهم هم جزء من موكب ظفر الرب. فلا أحد يتقدَّم على الرب في موكب الظفر، هو يسير على رأس هذا الموكب. كان عليهم الإنتظار لكي ينهي عمله في تبشير من هم في الجحيم بالخلاص وبعدها ينطلق موكب النصر الإلهي، النصر على قوى الشر والموت. لأنه في المسيح يحيا الجميع و«المسيحُ باكورةٌ» (١كور ١٥: ٢٣) في كل شيء. ان عمل الرب يسوع الخلاصي هو عمل واحد متكامل

يأتي ليلتفّ هو نفسه طوعاً باللفائف. البارحة أخرج الإنسانَ من الظلمة، واليوم يأتي ليدخل الظلام وظلال الموت من أجل الإنسان. البارحة، ستة أيام قبل الفصح، وهب الثلاثيُّ الأيام للأختين أخاهما الرباعيَّ الأيام بحواسه الخمس، واليوم يسير بنفسه نحو الصليب. لقد وهب مريمَ الميتَ الرباعيّ الأيّام، بينما يهب المسيح الثلاثيُّ الأيام نفسه للكنيسة. هناك فقط بيت عنيا تتعجّب، وهنا تعيّد الكنيسة بأسرها. تعيّد عيد الأعياد، وعندها في الوسط ملك القوات اللاهيولية بمثابة عريس وملك. حيث المسيح هناك الزنبق الخضير بالحقيقة الذي لا يُدين بل يخلّص العالم. حيث المسيح هناك البنفسج الذي يداوي آلام المرضى. هناك الكرمة التي تقول: أنا هو الكرمة الحقيقية. هناك الرحيم الذي يرحم حقاً كل الواضعين رجاءهم فيه. هناك أزهرَ الغصن الذي قبل الأزل من جذر يسّى دون فلاحة ودون أن ينقب الفلاح. هناك النبع الذي لا ينضب. عيّدي يا كنيسة المسيح، ليس شكلياً ولا جسدياً، بل راقصة رقصاً روحياً. واهتفي: أوصنا لإله السماء، مبارك هو الآتي.

القديس أبيفانيوس القبرصي

تتخلّله محطات معيّنة تكمل بعضها. لذا فإن موت يسوع وقيامته هما عمل واحد وإن كان يفصل بينهما زمن معيَّن، وعلى هذا الأساس نرتل يوم الفصح «المسيح قام من بين الأموات ووطئ الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور».

قيامة المسيح هي ركيزة إيماننا المسيحي على ما يقول الرسول بولس: «إن لم يكن المسيحُ قد قامَ فباطلةٌ كِرازتنا وباطلٌ أيضاً إيمانكم» (١كور ١٥:١٤). عندما قام يسوع تجلّت للخليقة كلها نتائج عمله الخلاصي على الصليب. ظهر هو ومعه من أقامهم. من هذا المنطلق، ربما، كانت الكنيسة في القرون الأولى، على ما تذكر المخطوطات، تعيّد لموت الرب وقيامته في احتفال واحد يوم الفصح. لأنها فهمت ان عمل الرب الخلاصي لا يتجزأ.

أهلّنا الرب أن نسجد لآلامه المحيية ولقيامته المجيدة.

تجديد الحياة

قصد الله منذ خطيئة آدم محو جريرة السقطة الأولى وعودة حياة الصداقة وتثبيت العلاقة الحميمية بين الله والإنسان. وهذا القصد أتمه يسوع المسيح بمجيئه إلى الأرض، وتجسده وحياته في الناصرة وبآلامه الخلاصية وبموته على الصليب ودفنه وقيامته بعد ثلاثة أيام. وهكذا وضح جليًّا انّ الإنسان قد خلص، وانه يستطيع بواسطة نعمة المسيح والإقتداء به أن يصبح من جديد إبناً لله الآب.

لكن هذا التجديد يستلزم من الإنسان ترك الماضي، وولادةً جديدة كما قال السيّد له المجد لنيقودمس.

إذاً لبدء حياة جديدة مع المسيح لا بدّ من انهاء حياة قديمة ونسيان الماضي كلّه، ولا بدّ من موت ينهي حياة قديمة وينظّم حياة جديدة.

والحياة الجديدة هي الحياة التي وصفها الإنجيل والتي عاشها المسيح على الأرض. وهذه تستلزم من الإنسان وداعة وصبراً واحتمالاً وطهارة قلب وجسد وتجرّداً عن الغنى. وهكذا تتحقق على الأرض حياة الطوباويين في السماء.

ولا بدّ من التذكير بأنّ الروح القدس هو العامل والمحرّك الأساسي في هذا التجديد للحياة وفي تغيّرها إلى حياة مع المسيح. فهو الذي يحملنا إلى أن ندعو الله أباً حقيقيًّا لنا؛ وهو الذي يشركنا بنعم الفداء العظيمة؛ وهو الذي يجعلنا، كما يقول القديس يوحنا ابناء للنور، مشتركين هكذا بالمجد الأبدي المزمع أن يتجلّى فينا. وبكلمة مختصرة الروح القدس هو الذي يجعلنا نملك كلّ ما يريد الله أن نملكه، وأن نفهم بالإيمان الوعود المعطاة لنا بما سنملكه في الحياة الأخرى.

القديس باسيليوس الكبير

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb